

المحاضرة السادسة

المعتقدات، الإيديولوجيا، التصورات الاجتماعية

Beliefs, Ideologies and Social representations

Croyances, Idéologies et Représentations sociales

تمهيد:

تتنمي المعتقدات والإيديولوجيا والتصورات الاجتماعية إلى حقل المعارف الاجتماعية، وهو أحد أهم الحقول المعرفية والبحثية في علم النفس الاجتماعي، ونظرا لأهمية هذه الظواهر السوسيو-معرفية في بناء المحيط الاجتماعي والعلائقي للفرد ودورها في تحديد سلوكياته السوية كما المرضية فإن دراستها مهمة للطلبة المقبلين على التخصص في علم النفس العيادي أو علم النفس التنظيم والعمل من أجل فهم أعمق للظواهر النفسية في مختلف البيئات الاجتماعية والمهنية.

I. المعتقدات:

1. تعاريف:

1.1. التعريف الأول:

المعتقد هو اتجاه فكري لدى شخص يصر على أن فكرة أو فعلا ما صحيحا دون أن يقدم توضيحا موضوعيا أو مقبولا لهذا الإتجاه، مثال: «أعتقد أن القط الأسود اللون هو نذير شؤم».

2.1. التعريف الثاني:

المعتقد هو «انخراط للفكر يلغي الشك ويحمل جانبا من الإقتناع الشخصي واليقين الداخلي، دون أن يتمتع بعقلانية تامة»، إنه «موافقة يعطيها الفكر دون تفكير شخصي وبدون تحقق معمق». فمواضيع المعتقد الفردي محددة إذن كـ «آراء، ليست دينية بالضرورة، تتخذ طبيعة الإعتقاد الحميمي الذي يقصي الشك» القاموس المعاصر لمركز الموارد النصية والمعجمية.

3.1. التعريف الثالث:

«المعتقد هو فكرة تكفي نفسها وتقضي أي حاجة للتحقق الخارجي، فالانخراط الشخصي الداخلي كاف لتأكيد صحتها» فلاش وأوليفي (2007) Flèche et Olivier

في النهاية، يعتبر المعتقد بناءا ذاتيا يخلق حاجزا بين الواقع الخارجي، الأحداث والشخص الذي يؤمن به، فيمنعه من التأويل العقلاني بناءا على معطيات موضوعية ويعطي الأسبقية للمخيل في إدراك الواقع.

إن الإعتقاد هو فعل شخصي ينشط مجموع الكائن البشري: الجانب المعرفي، الانفعالي والسلوكي؛ وذلك على عكس المعرفة التي لا تعني سوى الكائن المعرفي.

المعتقد هو دائما فكرة لا يمكن فصلها عن إشكالية اجتماعية تجعل أن لكل معتقد قاعدة جماعية ممكنة، ومن جهة أخرى، يمكننا أن نرى معتقدات مختلفة وحتى متناقضة.

2. بروز المعتقدات:

تكتسب المعتقدات مع التطور الشخصي، من خلال الانطباعات العاطفية، التجارب والتعلمات، منذ الطفولة الأولى، قبل ظهور التفكير النقدي، حيث ينسى الشخص الذي يحملها أصلها. فينجم عن ذلك أن كل واحد منا لا يكون واعيا في أغلب الأحيان بأنه لم يقرر الإعتقاد بما يعتقد به: فالمعتقدات الأساسية المتعلقة بحياته تم اكتسابها دون أن يتمكن من اختيارها أو رفضها.

3. أشكال المعتقدات:

أشار كل من فلاش وأوليفي (2007) إلى الفيلسوف لacroix الذي ميز، في كتابه المعنون بـ «الماركسية، الوجودية، الشخصية» الذي ظهر في سنة 1949، بين سرعة التصديق la crédulité والمعتقد الحقيقي. فسرعة التصديق بالنسبة لـ لacroix هي معتقد ذاتي تماما يفرض نفسه علينا دون أن يكون من صنعنا.

أما المعتقد الحقيقي بالنسبة لـ لacroix فيمكن تسميته إيمانا، وهو يتخذ طابعا جماعيا. فـ «بفضل الشك الذي يحرر الشخص من سحر الموضوع، يصبح المعتقد معتقدا خاصا بنا: المعتقد الحقيقي ليس فقط ما هو بداخلي، بل ما أقر به [...] المعتقد الحقيقي، الذي يكون شخصي وجماعي، لا يبدأ إلا مع التفكير، أي بعد هذا التوقف المتمثل في الشك» فلاش وأوليفي (2007) Flèche et Olivier

يسمح هذا التعريف الجديد بالأخذ بالحسبان حقيقة أنه بعد اكتساب التفكير النقدي، وبفضل زيادة تعليمه، يمكن للفرد أن يتخلى عن عدد من المعتقدات الآلية الموروثة من محيطه عن طريق التربية في الطفولة الأولى. حيث يمكن أن ينخرط طوعية في معتقدات جديدة تكون ذات طابع جماعي في أغلب الأحيان.

تتخلل المعتقدات الجماعية الأحاديث الشعبية في شكل أمثال وحكم، أفكار شائعة وعميقة، جامعة مانعة، أو تختزل تجربة الحياة الصعبة.

يمكن إدماج المعتقدات الخرافية ضمن حقل المعتقدات الجماعية. فهي تركز على رابط بين فعل، سلوك أو تفكير في الحاضر وأثر في المستقبل، إيجابيا كان أم سلبيا، والذي يعتبر مظهرا من مظاهر القوى غير العادية، دون ربطها بنظام خارق للطبيعة.

يمكن أن تتخذ المعتقدات الجماعية الطابع الاجتماعي وتقن ثقافيا في الإطار الديني بالتحديد. فكما هو الشأن بالنسبة للمعتقدات الآلية تفرض المعتقدات الجماعية نفسها كبديهيات بحيث لا يفهم المعتقد بها لماذا هي غير متقاسمة.

تكون بعض المعتقدات الدينية (عندما تتعلق بنظام خارق للطبيعة) أو السياسية (عندما تتعلق بوضع اقتصادي واجتماعي) ذات طبيعة حصرية وتدعي الشمولية بحيث يمكن أن تصبح دغمائية وحتى شمولية.

للمعتقدات الجماعية وظيفة إيجابية متمثلة في طمأنة الفرد لأنها تساهم في بناء وهم فعال للتحكم في سير الأحداث.

4. دور المعتقدات في الحياة اليومية:

المعتقدات منخرطة بقوة في الحياة اليومية للأفراد وتمنح معايير للقرار المباشر وغير المفكر فيه (الأشياء التي يحبها وتلك التي يكرهها، الرغبات والنفور، الإختيارات العاطفية، المشاعر، المهنية أو الترفيهية).

تعاش المعتقدات من قبل بعض الأشخاص على أنها حقائق قطعية وتصبح بذلك قواعد شخصية للحياة.

يتم توظيفها في الوضعيات غير المريحة بحيث تقوم بوظيفة إيجابية للحماية والدفاع من أجل الوقاية من كل تجربة سلبية جديدة. فالهدف يكمن في تسهيل تكيف الشخص مع محيطه من خلال عزو المعنى. فعزو

المعنى هو «استدلال يهدف إلى تفسير سبب حدوث حدث معين، أو يحاول تحديد خصائص الفرد» Flèche et Olivier (2007) إنه ربط علاقة سببية مدركة بين عامل X أو وضعية Y وسلوك أو حدث ما.

للكائن البشري حاجة أساسية لإعطاء المعنى للأحداث التي تصيبه وخاصة تلك غير المتوقعة، العشوائية أو التي لا يمكن التحكم فيها.

إذا أخذنا ميدان الصحة كمثال، فإن كل مريض «يعد نظريات بخصوص حالته؛ حيث يشرع في بناء حقيقي يمر حتما بالبحث عن تفسير» (Flèche et Olivier 2007). وهكذا، يمكن أن يتولد لديه معتقد بأن ظهور مرضه يمكن أن يعزى إلى عوامل نابعة من ذاته (الضغط النفسي، القلق، كبت تجربة إنفعالية، شعور بالذنب نتيجة تعدي على محظور أخلاقي، إلخ) أو التعرض للمحيط (الموجات الإلكترونية مغناطيسية لـ 5G، المنتجات المعدلة جينيا، المواد النانو مترية، إلخ. أو إلى تقهقر الظروف الحياتية مثل نوعية الهواء، نوعية الماء، فقدان التنوع البيئي، التغير المناخي، إلخ).

بمجرد خلق المعتقد، يتم نسيان سياقه الحقيقي، ما يؤدي إلى تعميمه بدون تبرير وجعله قطعيا.

5. حقول البحث في ميدان المعتقدات:

نشطت فكرة المعتقدات أربعة أنماط كبرى من الأبحاث:

أ. دراسة المعتقدات لدى مختلف الأشخاص:

هدفت هذه الأبحاث إلى وصف مونوغرافيات، أي كيف يمكن أن تكون عليه معتقدات فئة ما من الأشخاص بخصوص موضوع معين.

ب. دراسات الروابط بين الشخصية والمعتقدات:

تسعى هذه الأبحاث إلى فهم كيف يمكن لبعض البنى الثابتة للشخصية (شخصية تسلطية، شخصية دغمائية، إلخ) أن تحدد محتوى معتقدات ما والتعبير عنها.

ت. دراسات حول المعتقدات العامة:

يتم في هذه الحالة الكشف عن بعض المعتقدات القاعدية (العامة والعالمية) التي من شأنها أن تشكل الأرضية لأغلبية نظم المعتقدات: الإعتقاد في عالم عادل، الإعتقاد في عدم طبيعية السلوك البشري، إلخ

لقد بينت هذه الدراسات أن المعتقدات، على غرار بنى معرفية أخرى، تعمل «كمرشحات معرفية» (J.-P. Deconchy, 1987) في معالجة المعلومة.

II. الإيديولوجيا:

1. تعاريف:

بعيدا عن التعريفات المقدمة للإيديولوجيا، يمكن الإتفاق على تعريفها كنظام من التصورات، تكون وظيفتها موجهة نحو الفعل أكثر من توجهها نحو المعلومة.

الإيديولوجيا هي « نظام من الأفكار القوية أو المعتقدات التي توظف لتنشيط، وصف، تفسير، تأويل أو تبرير فعل فرد ما (الإيديولوجيا الفردية) أو وضعية جماعة ما (إيديولوجية جماعة)، والتي توجه نشاط الفرد وتطور الجماعة في الزمن من خلال الاستناد على مجموع معين من القيم» قاموس المكتب الكيبي للغة الفرنسية

تتعامل النظرة السائدة مع هذا المصطلح كمرادف للعقيدة la doctrine، ولكن الفكرتين تشيران إلى مظاهر مختلفة لنفس الواقع. حيث ترتبط العقيدة بالقواعد الفلسفية لمنطق معين من التفكير والسلوك. في حين تحيل الأيديولوجيا إلى مجموع الاتجاهات العقلية المرتبطة بالأساس العقائدي (الذي يمكن أن يكون ضمنا أو ظاهرا).

هناك معنى سلبي (تحقيري) للأيديولوجيا ينظر إليها كـ «مجموع من المعتقدات والأفكار التي تقدم تبريرا للنظام الاجتماعي وتنشط الفعل الاجتماعي الذي يطيله».

ينظر الفكر الماركسي للأيديولوجيا كضد للعلم. «فهي تظهر أولا كنظرة للعالم، أي بناء فكري يفسر ويبرر نظاما اجتماعيا قائما، انطلاقا من أسباب طبيعية أو دينية. لكن هذه النظرة ليست في الواقع سوى ستار هدفه إخفاء استمرار المصالح المادية الأنانية من خلال تعزيز وإطالة هيمنة طبقة من المفضلين. فالإيديولوجيا بهذا المعنى هي بنية فوقية للمجتمع الذي يبعثها ويدعمها...».

حلل ماركس الإيديولوجيا كوهم ضروري واعتبر أن «وحدتها نظرة إيديولوجية للعالم أمكنها تصور مجتمعات بدون إيديولوجيا».

«تصبو الإيديولوجيا بطبيعتها لأن تصبح دعاية *une propagande*، أي النقل الآلي لصيغ ممغنطة بشغف جوهره حاقداً، لا يظهر إلا بشرط العمل ضد فئة اجتماعية معينة: المسلمون، اليهود، المسيحيون، البورجوازيون، إلخ».

2. أصل الإيديولوجيات:

تلقن الإيديولوجيا، بصفة ظاهرة أو ضمنية، خلال النمو الشخصي، ويمكن نقلها عن طريق التربية، وهو ما يجعل من الممكن تواجد عدة إيديولوجيات في نفس الوقت في بعض المجتمعات، ولكن الإيديولوجيا السائدة في كل مجتمع تتغلغل بحيلة في كل فرد خلال تنشئته الاجتماعية.

3. العلاقة بين المعتقدات والإيديولوجيات:

يمكن للإيديولوجيا أن تعزز معتقداً خاصاً، وكما هو حال المعتقد، هي تقصي الشك الشخصي. تتشابه كلتا الظاهرتين في كونهما معدتان انطلاقاً من القيم وليس من التفكير. كما تحددان الاختيارات الآلية واللاشعورية وتنفلتان من التفكير النقدي.

هناك قاسم مشترك آخر بين المعتقدات والإيديولوجيات وهو أن حاملهما لا يدرك أنهما تحددان جزءاً من تفكيره.

للمعتقدات والإيديولوجيات نفس الفائدة النفسو-اجتماعية، فهما تعملان كعوامل جالبة للاستقرار، وتسمحان بإدامة وهم الفهم المتين للعالم وبالتالي والطمأنينة الناجمة عنه.

تسمح هذه الظواهر السوسيو-معرفية بالحصول على دليل صلب قادر على خلق والحفاظ على تماسك بين العالم المحيط والعالم الداخلي.

III. التصورات الاجتماعية:

تمهيد:

ترجع أصول نظرية التصورات الاجتماعية *la théorie des représentations sociales* إلى مفهوم التصورات الجماعية *les représentations collectives* الذي طرحه دوركايم Durkheim منذ أكثر من قرن، للإشارة إلى نوع من المعرفة الجماعية التي توجه سلوكات الأفراد وممارساتهم دون أن يكونوا واعين بذلك، فعلى عكس التصورات الفردية المتنوعة والمحدودة في الزمن، تعتبر التصورات الجماعية كيانا رمزيا خارجا عن إرادة الأفراد، قد يستمر لأجيال، ويتحكم في وعي هؤلاء الأفراد بمحيطهم الاجتماعي (Roussiau et Bonardi, 1999)

أعاد موسكوفيسي Moscovici إحياء فكرة دوركايم تحت اسم التصورات الاجتماعية، غير أن الذي يميز هذه التصورات هو أنها تنتج وتتداول وتعديل عن طريق التواصل الاجتماعي والحوارات اليومية للجماعات وحتى الأفراد بخصوص موضوع يمس حياتهم اليومية، غير أنها قد تكون متنوعة بحسب الجماعات التي تنتجها ومحدودة في الزمن. كما بين في كتابه «التحليل النفسي، صورته وجمهوره *la psychanalyse, son image et son public*» (1961) كيف تعمل التصورات الاجتماعية كأنظمة استقبالية يمكن أن تعيق أو تمثل ركيزة لاستيعاب المعرفة العلمية والتقنية، فلا يجب النظر إلى المعرفة "الساخرة" على أنها خاطئة أو منحرفة على خلاف مسلمات بعض المعرفيين التي ترى بأنه توجد أخطاء *des biais* طبيعية ملازمة للعمل العقلي العفوي (في العزو السببي مثلا *l'attribution de causalité*) فموسكوفيسي يتحدث عن معرفة أخرى غير المعرفة العلمية، مكيفة ومعززة من خلال العمل المعرفي للفرد على محيطه (Jodelet et autres, 1989).

1. تعريف:

يمكن أن نعرف التصورات الاجتماعية على أنها بنى معرفية مرتبطة بالتاريخ السوسيو- معرفي للجماعة التي تنتجها، «منظمة بطريقة خاصة، وتتحرك حسب قواعد عمل خاصة بها، ففهم الميكانيزمات التي تتدخل من خلالها التصورات في الممارسات الاجتماعية يتطلب ضرورة معرفة التنظيم الداخلي للتصور (Abric, 1994) ؛ إذ يحتوي التصور الاجتماعي -حسب نظرية النواة المركزية لـ أبريك Abric- على نواة مركزية (جهاز مركزي) مرتبطة بالتاريخ السوسيو- ثقافي للجماعة، وجهاز محيطي مرتبط بالجوانب الملموسة للتصور، أي أن استكشاف التصورات الاجتماعية لموضوع ما يمكننا من معرفة القيم الجماعية التي تسير العلاقة مع هذا الموضوع، وفي نفس الوقت تتيح لنا معرفة طبيعة العلاقات التي تربط بين مكونات هذا التصور.

بخلاف «التصورات الجماعية» المتعلقة بجماعات اجتماعية واسعة وثابتة في الزمن، يقترح علم النفس الاجتماعي من خلال موسكوفيسي مفهوم «التصورات الاجتماعية Représentations sociales» الذي يقدم التصورات على اعتبارها ديناميكية ومتطورة، كما أنها منحصرة على بنى صغيرة؛ فهي إذن كثيرة من حيث العدد وأكثر تنوعا ومحدودية وتجزئة، ولهذا السبب تتغير بشكل أسهل وأسرع مقارنة بالتصورات الجماعية، فعلماء النفس الاجتماعيون يرون بأن التصورات الاجتماعية من صنع الفرد، ولكنها مكتسبة ومتقاسمة أيضا مع الجماعة، لكن الجماعة (collectivité) في تصور موسكوفيسي ليست هي المجتمع الأصلي؛ وإنما هي الجماعات الصغيرة التي ينتمي إليها الأفراد.

إذا كانت المعلومة العلمية دقيقة ومنطقية فهي معقدة جدا، إذ يصعب على الأفراد الاحتفاظ بها، فينتج عن ذلك تحويلها من خلال المحاورات والاتصالات ومختلف أنماط التفاعل الاجتماعي إلى شكل خاص جديد من المعرفة المعدة اجتماعيا.

2. المقاربات النظرية للتصورات الاجتماعية:

يتعلق الأمر في الواقع بثلاث نماذج نظرية، حيث لا تعتبر أطروحات متنافسة وإنما مقاربات مكملات لبعضها البعض، لكننا سنعرضها الآن بحسب الترتيب الزمني لظهورها:

1.2. النموذج السوسيوي - تطوري Le modèle sociogénétique:

يعد هذا النموذج أول مقارنة نظرية يقترحها موسكوفيسي للعمل على التصورات الاجتماعية، حيث يدرس هذا النموذج الكيفيات التي يُنتج من خلالها الأفراد تصوراتهم حول مواضيع الحياة المختلفة. يرى موسكوفيسي أن ظهور وضعية اجتماعية جديدة، وما تفرضه هذه الأخيرة من قلة المعلومات بشأنها أو عجز المعارف المكتسبة سابقا عن تأويلها، يؤدي إلى بروزها كموضوع إشكالي وجديد يستحيل معرفته بشكل كامل نظرا لتشتت المعلومات التي تتعلق به، فهذه الوضعية تولد نقاشات وجدالات وتفاعلات تزيد من الشعور بضرورة فهم الموضوع، وهكذا يتم تنشيط التواصل الجماعي والتطرق لكل المعلومات والمعتقدات والفرضيات الممكنة، ما يؤدي في نهاية الأمر إلى الخروج بموقف أغلبية لدى الجماعة، هذا التوافق تساعده طبيعة معالجة الأفراد الإنتقائية للمعلومات، إذ يتمركزون حول مظهر خاص يتناسب وتوقعاتهم وتوجهاتهم الجماعية، لكن هذه السيرورة العفوية المولدة للتصور تحتاج لثلاث شروط:

أ- تشتت المعلومة La dispersion de l'information.

ب- التركيز في بؤرة La focalisation.

ت- الحاجة إلى الإستدلال La pression à l'inférence.

لكن مولينير **Moliner** فصل فيما بعد أكثر في هذه الشروط:

- أ- ظهور موضوع معقد ومركز أو متعدد الأشكال.
- ب- وجود جماعة اجتماعية.
- ت- وجود رهانات متعلقة بالهوية أو بالترابط الاجتماعي متأثرة بهذا الموضوع.
- ث- حدوث ديناميكية اجتماعية؛ أي مجموعة من التبادلات والتفاعلات ما بين الجماعات حول هذا الموضوع.
- ج- غياب تنظيم امتثالي أو دوغمائي (dogmatique) متحكم في المعلومة المتعلقة بالموضوع.

كما اقترح **موسكوفيسي** من خلال هذا النموذج سيوريتين ينتج عنهما ظهور التصورات، سنتطرق لهما بشكل مفصل في العنصر الموالي (سيرورة التصورات الاجتماعية):

- أ- **سيرورة التوضيع L'objectivation**: هي السيرورة التي تجعل المجرّد ملموساً.
- ب- **سيرورة الترسيع L'ancrage**: هي سيرورة يحاول الأفراد من خلالها إدماج المعلومات الجديدة المتعلقة بالموضوع في نسق مرجعي موجود سلفاً.

2.2. نظرية النواة المركزية La théorie du noyau central:

تتخذ نظرية النواة المركزية منحاً وصفياً، فهي تهتم بسيرورة التوضيع (objectivation) وتلعب دوراً في الكشف عن منتج هذه السيرورة، كما تؤكد هذه النظرية أن التوافق الضروري للتصور الاجتماعي موجود على مستوى الآراء الشخصية للأفراد. (Roussiau, Bonardi, 2001)

ينظر **أبريك Abric** صاحب هذه المقاربة النظرية إلى التصورات الاجتماعية على أنها مجموعة سوسيو- معرفية منظمة بطريقة خاصة، وتتحرك حسب قواعد عمل خاصة بها، ففهم الميكانيزمات التي تتدخل من خلالها التصورات في الممارسات الاجتماعية يتطلب ضرورة معرفة التنظيم الداخلي للتصور (Abric, 1994)، ولهذا اهتم مختلف الباحثين الذين يعملون معه في هذا المجال بالمعتقدات المتقاسمة والمتوافق عليها من قبل أعضاء الجماعة، حيث ينظر إليها كنسق مُدرج (hiérarchisé) من المعتقدات، يضم عناصر محيطية منتظمة حول نواة مركزية تتولى مهمة تنظيم بقية مكونات النسق.

لكن تقدم الأبحاث كشف عن إمكانية وجود تدرج (hiérarchisation) آخر داخل النواة المركزية، حيث يشير المشتغلون في هذا الحقل إلى وجود عناصر مركزية رئيسية تضمن إعطاء الدلالة للموضوع، في حين تُخصّص وتُدرّج هذه الدلالة مجموعة من العناصر المركزية النائية (adjoints).

3.2. النموذج السوسيو-ديناميكي Le modèle sociodynamique:

أقترح هذا النموذج من قبل دواز **Doise** الذي اهتم بالمعتقدات الخاصة التي يكونها الأفراد عن المواضيع المختلفة للحياة الاجتماعية، فالتصورات حسبه لا يمكن تبصرها إلا من خلال ديناميكية اجتماعية تضع الفاعلين الاجتماعيين في حالة تفاعل.

عندما تدور هذه الديناميكية حول مسألة مهمة، تثير مواقف مختلفة لدى الأفراد بحسب الانتماءات الاجتماعية لكل واحد، وذلك بالرغم من اشتراكهم في نفس المبادئ المنظمة للمواقف، وهكذا تنسب هذه النظرية وظيفة مزدوجة للتصورات الاجتماعية؛ فهي تعتبرها من جهة كمبادئ مولدة للمواقف، ولكنها من جهة أخرى مبادئ منظمة للفروقات الفردية، وبالتالي فليست وجهات النظر هي المتقاسمة ولكن المسائل التي يُتَجابَه حولها هي المتقاسمة.

تعطي هذه المقاربة النظرية مكانة مهمة للعلاقات ما بين الأفراد، وذلك بمحاولة توضيح الكيفية التي يمكن من خلالها للانتماءات الاجتماعية المختلفة أن تحدد الأهمية الموكلة للمبادئ المختلفة، إذ يتعلق الأمر بدراسة ترسيخ التصورات في الواقع الجماعي.

تبحث نظرية المبادئ المنظمة عن الخصوصية في حركية النقاط المرجعية المشتركة للأشخاص الذين يتقاسمون تصورا معينا، نقاط مرجعية مشتركة تتحول إلى رهانات تكون مصدرا للاختلافات الفردية، وكل هذا يحدث في علاقة مع التداخلات الاجتماعية للأشخاص، فالتوافق المميز للتصورات الاجتماعية موجود حسب هذه المقاربة في هذه الرهانات.

3. سيرورة التصورات الاجتماعية:

كما أشرنا سابقا، فإن **موسكوفيسي** قد اقترح سيرورتين تساهمان في ظهور وعمل التصورات الاجتماعية، وهما سيرورتا التوضيح والترسيخ، حيث يتعلق الأمر بنشاطات نفسية تسير مجموعة من الميكانيزمات العقلية وأخرى اجتماعية مطبوعة بالإطار الذي تحدث فيه.

1.3. سيرورة التوضيح Processus d'objectivation:

تسمح عملية التوضيح بترتيب المعارف الخاصة بموضوع تصور ما، بالمرور من عناصر نظرية مجردة إلى صور ملموسة، وذلك عن طريق التبادلات والآراء التي يمكن أن تحدث بين أعضاء جماعة معينة، كمظهر من مظاهر البناء التصوراتي، فيصبح الجهاز النفسي مثلا والذي قدمته نظرية التحليل النفسي جهازا ملموسا مقسما إلى جزئين مركبين فوق بعضهما؛ حيث يوجد في الأعلى الشعور في حين يتواجد اللاشعور في الأسفل، وهكذا

يصبح النفساني خبيراً تكمن وظيفته في الغوص في أعماق اللاشعور، ليستخرج العقد التي نتجت عن الضغط الناتج بين الكيانين (الشعور و اللاشعور) (Dubois et autres, 2005). غير أن سيرورة التوضيح هذه يجب أن تمر عبر المراحل الثلاثة التالية:

1.1.3. الإنتقاء La sélection:

يتعلق الأمر بفك ارتباط المعلومات بالمكان (بالإطار) (décontextualisation)، حيث يتم ترشيح (filtrage) المعلومات المتوافرة حول موضوع التصور؛ وذلك من خلال تحريف وعكس وتخفيض أو إضافة بعض المعطيات أو القيام بتقييمات وإقصاءات أو حذف بعض الخصائص، وذلك بسبب الضغط الذي تمارسه كليات التفكير المختلفة، المتأثرة هي الأخرى بالإطار الإيديولوجي والثقافي، وأنساق القيم التي يتواجد بها الأفراد الذين يستقبلون المعلومات أو الظواهر الجديدة، أو يعيدون تقييم معطيات موجودة سلفاً.

2.1.3. المخطط التصويري Le schéma figuratif:

هو صورة تعطي للفرد معنى متماسك، حيث يمثل النواة الصلبة للتصور، فهو الذي يقف وراء تبلور السيرورة التصورية من خلال رصف جدلي يتضمن من جهة تكثيف عناصر المعلومة ومن جهة أخرى إجلاء المظاهر الأكثر صراعية، فالمخطط التصويري الذي يحمله الفرنسيون حول نظرية التحليل النفسي والذي بينه موسكوفيسي في كتابه: La psychanalyse son image et son public سنة 1961 مرتكز على التعارض بين الداخل و الخارج؛ بين ما هو ظاهر وما هو مستور (هذه هي الدلالات المعطاة إلى مصطلحي الشعور واللاشعور)، كما يرتكز هذا المخطط على فكرة وجود ميكانيزم ضار (الكبت) والذي يمثل مصدر المشاكل (العقد النفسية) وهكذا فهذا المخطط التصويري يفتقر إلى الروابط مع النظرية الأصلية لأنه يتجاهل الليبيدو المنظم للحياة النفسية؛ وهكذا يجعل هذا المخطط الأفراد يشعرون بأنهم قادرين على إدراك لاشعور ومكبوتات وعقد المحيطين بهم، مباشرة من خلال ملاحظة سلوكياتهم ، وهكذا يتيح المخطط التصويري الفرصة لتجسيد (matérialisation) وتبسيط الظاهرة المتصورة، كما يعدل التعقيد المفهوماتي (conceptuelle) بحسب فكر الأفراد. (Seca, 2005)

3.1.3. التطبيع La Naturalisation:

يتعلق الأمر بجعل العناصر التصويرية (figuratif) ملموسة، فتصبح عناصر بديهية وبسيطة للواقع، فالتطبيع يمكن أن يعرف على أنه عملية تحويل عناصر الفكر إلى أصناف حقيقية للكلام والإدراك، قادرة على ترتيب الأحداث الواقعية.

2.3. سيرورة الترسخ (الرسو) :Processus d'ancrage

يمكن اختزال هذه العملية في عبارة: " محاولة فهم الغريب عن طريق ما هو مألوف "، فإذا كانت سيرورة التوضيح تسمح بإعادة امتصاص الدلالات المفرطة بتجسيدها، فترسخ التصور هو نشاط يساعد على تجديدها في الفضاء الاجتماعي بهدف استعمالها بشكل يومي، بحسب الجماعات وأنساق التفكير والأطر التفسيرية الموجودة مسبقا، فبناء التصور الاجتماعي يتطلب أن ينفذ في النسق الثقافي والمعرفي والتصوراتي لجماعة اجتماعية معينة.

يرى موسكوفيسي أن « سيرورة الترسخ تحول العلم إلى معرفة مفيدة لكل شيء، في حين تنقل سيرورة التوضيح العلم إلى ميدان الفرد ». يمكن توضيح ثلاث مظاهر لسيرورة الترسخ:

أ. **التصور كسيرورة تأويل:** نوظف التصور كأداة لمعرفة أنفسنا وكذا معرفة الآخرين، إذ يسمح بفك تشفير ما يحيط بنا فنحصل على إطار تأويل، وذلك بوضع الأفراد والوضعيات في تصنيفات تعمل كدليل لفهمنا، وهكذا تصبح هذه السيرورة جهازا وسيطا قادرا على تعديل العلاقة الاجتماعية من خلال اقتراح كناشات وأنماط تساعد على تقييم الأحداث والسلوكات.

ب. **التصور كشبكة من الدلالات:** وهو مظهر مركزي لعمل التصور، لأنه يوضح العلاقات الموجودة بين العناصر المختلفة، وبالتالي فهي تعكس هوية الأفراد والجماعات من خلال الدلالات المختلفة الموجودة في تصوراتهم.

ت. **التصور كوظيفة إدماج:** تدمج سيرورة الترسخ التصور في أنظمة تفكير موجودة مسبقا، حيث يمكن لهذا المظهر أن يفسر كيفية حدوث العلاقة بين نمط التصور الموجود مسبقا والوقائع الجديدة التي يمكن أن يواجهها، فالترسخ يسمح إذن بتحديد كيفية حدوث إدماج هذه الجدة في جهاز معين وكذا إعادة تركيب العناصر المتفاعلة.

4. بنية التصورات الاجتماعية:

يؤكد أبريك على أن التصور الاجتماعي مكون من جهازين مكملين لبعضهما، أولهما مركزي (النواة المركزية) والثاني محيطي (الجهاز المحيطي):

1.4. النواة المركزية (الجهاز المركزي) :Le noyau central

ينظم كل تصور حول نواة مركزية، فهي العنصر الرئيسي الذي يحدد دلالاته وتنظيمه في الوقت نفسه، وذلك لأنها الأكثر استقرارا وديمومة لارتباطها بالمعايير والقيم والذاكرة والتاريخ الجماعي، وذلك بالرغم من تطور وتحرك الإطار الذي توجد به، حيث يؤدي غيابها إلى تدمير التصور وإعطائه دلالة مغايرة تماما.

يرى أبريك أن تحليل النواة المركزية والعناصر المكونة لها، خطوة ضرورية للكشف عن اندماج الشخص في الواقع الذي يعيش فيه، غير أن معرفة محتوى التصور لا تكفي للتعرف عليه وتحديدته، فتنظيم هذا المحتوى هو الأهم، حيث يؤكد أبريك بأنه بالرغم من تشارك تصورين في محتوى واحد فإنه يمكن أن يكونا مختلفين، وذلك إذا اختلف تنظيم محتواهما بسبب اختلاف مركزية بعض العناصر، هذا وتحتوي النواة المركزية على عدد محدود من العناصر، حيث لا يتجاوز في الغالب ستة عناصر.

1.1.4. وظائف النواة المركزية:

تقوم النواة المركزية بثلاث وظائف هي:

1.1.1.4. وظيفة مولدة *Fonction génératrice*:

هي الوظيفة التي تُكوّن من خلالها وتُحوّل دلالة العناصر الأخرى المكونة للتصور.

2.1.1.4. وظيفة منظمة *Fonction organisatrice*:

تحدد النواة المركزية طبيعة الروابط التي توحد عناصر التصور وتنبتها.

3.1.1.4. وظيفة مثبتة *Fonction stabilisatrice*:

النواة المركزية مستقرة يصعب تطويرها، وبالتالي تعطي للتصور ثباتا زمنيا متفاوت المدة.

بحسب طبيعة موضوع التصور ومقاصد الوضعية، يمكن أن يكون للنواة المركزية بعدان:

أ- **بعد وظيفي *Dimension fonctionnelle***: يظهر هذا البعد من خلال استعمال عناصر التصور

التي تساعد على إتمام مهمة معينة.

ب- **بعد معياري *Dimension normative***: و يبرز هذا البعد في كل الوضعيات التي تتدخل فيها

الأبعاد السوسيو-عاطفية، الاجتماعية أو الإيديولوجية بصفة مباشرة، ففي مثل هذه الوضعيات يمكننا

أن نعتبر أن المعايير والقوالب والإتجاهات ستكون في قلب التصور.

تشير بعض الدراسات الحديثة إلى أن النواة المركزية منظمة بدورها حول نوعين من العناصر: عناصر ذات

أولوية (*prioritaires*) وأخرى نائبة (*adjoints*).

2.4. العناصر المحيطية (الجهاز المحيطي) *Les éléments périphériques*:

تمثل العناصر المحيطية الجزء الأكبر من حيث الكم، وتقوم بدور الواجهة بين الجهاز المركزي

والوضعيات الملموسة، كما تساعد على أن يكون اختلاف جماعة ما قابلا للتعايش، وكذا ضمان نمو التصور

بمراعاة حساسية الوضع الملموس.

1.2.4. وظائف الجهاز المحيطي:

يمكن للجهاز المحيطي أيضا أن يقوم بثلاث وظائف أساسية:

1.1.2.4 وظيفة التجسيد **Fonction de concrétisation**:

العناصر المحيطة المتعلقة بالإطار الذي يوجد به الفرد، وهي ناتجة عن ترسيخ التصور في الواقع، حيث تسمح بإلباسه مصطلحات ملموسة وسهلة الفهم أو النقل، فالجهاز المحيطي يشتمل على العناصر التي تتضمنها الوضعية التي يوجد بها التصور وبالتالي فهو مرتبط بمعاش الأفراد.

2.1.2.4 وظيفة تعديل **Fonction de régulation**:

تتيح هذه الوظيفة تكيف التصور مع تطورات الوضعيات، وذلك من خلال دمج المعلومات الجديدة واستيعاب تحولات المحيط، وكذا العناصر التي من شأنها أن تضع بنية التصور على المحك، حيث يتم احتواءها بإعطائها موضعاً ثانوياً أو إعادة تفسيرها بما يتماشى والدلالة المركزية، أو بإعطائها طابع الإستثنائية أو الإشتراطية، وهكذا وفي مقابل استقرار النواة المركزية تتخذ العناصر المحيطة المظهر المتحرك والمتطور للتصور.

3.1.2.4 وظيفة دفاع **Fonction de défense**:

تقوم العناصر المحيطة بوظيفة دفاعية؛ وذلك من خلال إدماج مشروط للعناصر المتناقضة؛ فالجهاز المحيطي هو الوحيد القادر على تحمل التناقضات داخل محتوياته. كما هو الشأن بالنسبة للجهاز المركزي، يحتوي الجهاز المحيطي على نوعين من العناصر: عناصر مُنشّطة بشكل مفرط (éléments suractivées)؛ وهي عناصر يمكن أن تبرز في بعض الظروف لدرجة أنها يمكن أن تصبح مركزية، في مقابل عناصر محيطية عادية.

5. خصائص التصورات الاجتماعية:

يمكن أن نتطرق لخصائص التصورات الاجتماعية باعتبارها مركبات سوسيو-معرفية أو من خلال الإطار الذي تحدث به.

تشير المقاربة السوسيو-معرفية إلى مركبين للتصور:

أ- **مركب معرفي**: حيث يتطلب التصور وجود شخص نشط؛ فهو من وجهة النظر هذه "نسيج بسيكولوجي" خاضع للقواعد التي تسير بقية السيرورات المعرفية.

ب- **مركب اجتماعي**: يتحدد عمل السيرورات المعرفية مباشرة بالشروط الاجتماعية التي يُعد ويُنقل فيها التصور، فهذا البعد الاجتماعي يولد قواعد يمكن أن تكون مختلفة جداً عن "المنطق المعرفي".

كما يرتبط التصور بالإطار الذي ينغرس فيه:

أ- **الإطار الإستدلالي (discursif)**: أي طبيعة ظروف إنتاج الخطاب الذي يتشكل فيها التصور أو يُكتشف.

ب-الإطار الاجتماعي: أي الإطار الإيديولوجي من جهة، و المكانة التي يحتلها الفرد أو الجماعة المعنية في النظام الاجتماعي.

يمكن أن نلخص المعطيات السابقة في العناصر التالية:

- التصور هو تحويل اجتماعي للواقع إلى موضوع للمعرفة الاجتماعية؛ وذلك من خلال الإنتقاء والتحريف بحسب المكانة التي يشغلها الأفراد في وضعية اجتماعية ما.
- التصور مندمج في السيرورات العلائقية للأفراد.
- التصور سيروية لتطبيع (naturalisation) الواقع الاجتماعي؛ وذلك من خلال تحريف العناصر الاجتماعية وتقديمها على أنها بديهية.
- يمثل محتوى التصور مركبا سوسيو- معرفيا؛ إذ يتعلق الأمر بمعلومات اجتماعية متفاوتة التنوع ومتعلقة بموضوع اجتماعي معين.
- يتحدد محتوى التصور الاجتماعي بطابعه الدلالي؛ الذي يتجسد من خلال العلاقة بين الشكل (الصورة) والمعنى.
- التصور الاجتماعي هو محتوى رمزي؛ وهذه الخاصية مرتبطة بالخاصية الدلالية، فالموضوع الحاضر يشير إلى ما هو غائب عن إدراكنا المباشر، إذ يأخذ دلالة بالإرتكاز عليه وإعطائه خصائص تنتج المعنى، فالمحتوى الرمزي للتصور يرجع إلى البنية الخيالية للأفراد ويكون واحدا من أساليب التعبير.

يبين الجدول الموالي الخصائص التي يمكن أن يتميز بها كل من الجهاز المركزي والجهاز المحيطي لتصور اجتماعي ما (Pry, 2001, p. 188):

الجهاز المحيطي	الجهاز المركزي
■ يسمح بإدماج التجارب والتواريخ الفردية ■ يتحمل عدم تجانس الجماعة ■ مرن: يتحمل التناقضات ■ متطور ■ حساس للإطار المباشر	■ مرتبط بالذاكرة الجماعية وتاريخ الجماعة ■ اتفاقي: يحدد تجانس الجماعة ■ مستقر، متماسك وصلب ■ مقاوم للتغيير ■ قليل الحساسية للإطار المباشر

الجدول (01): خصائص الجهاز المركزي و الجهاز المحيطي في تصور ما

6. وظائف التصورات الاجتماعية:

تتيح التصورات الاجتماعية الربط بين المنتج المعرفي واللغوي والتنظيم الدال للواقع، حيث يتعلق الأمر بالطريقة التي يصبح بها الواقع مفهوماً ووظيفياً وعملياً، فالتصورات الاجتماعية إذن وسيلة لفهم وتوجيه السلوكات. يمكن اختزال دور التصورات الاجتماعية في الوظائف الثلاثة التالية:

1.6. وظيفة المعرفة :Fonction de savoir

تتيح التصورات الاجتماعية للفاعلين الاجتماعيين اكتساب المعارف وإدماجها بهدف استيعاب وتفسير الواقع، كما تلعب دوراً مهماً في عملية التواصل الاجتماعي، من خلال تحديد الإطار المرجعي المشترك الذي يجري فيه التبادل الاجتماعي، وكذا نقل ونشر " المعرفة الساذجة Le savoir naïf " التي توضح الجهد الدائم الذي يقوم به الفرد من أجل الفهم والتواصل.

2.6 وظيفة الهوية :Fonction identitaire

تسمح هذه الوظيفة بموضوعة الأفراد والجماعات في الحقل الاجتماعي؛ من خلال إعداد هوية اجتماعية وشخصية متماشية مع أنظمة المعايير والقيم المحددة اجتماعياً وتاريخياً، فتصور الفرد لجماعة انتمائه متأثر بتقييم مفرط لبعض خصائصها وإنتاجاتها التعبيرية، وذلك بهدف الحفاظ على صورة إيجابية لهذه الجماعة، وهكذا تلعب هوية الجماعة المتأثرة بتصوراتها دوراً هاماً في المراقبة الاجتماعية التي تفرضها على كل واحد من أعضائها، وخاصة من خلال سيرورة التنشئة الاجتماعية.

3.6 وظيفة التوجيه :Fonction d'orientation

تعمل التصورات الاجتماعية كنظام أولي لفك تشفير (système de pré-décodage) الواقع؛ إذ تعمل كدليل يحدد الغايات من الوضعية ونمط العلاقات المتناسبة والشخص المُواجه، فتصورات الفرد عن ذاته وجماعة انتمائه أو الجماعات الأخرى هي التي تحدد سلوكاته فيما بعد، من خلال تحديد ما هو شرعي ومسموح به وما هو غير مقبول في وضعية اجتماعية معينة، لكن فعل التصور يمكن أن يذهب إلى أبعد من ذلك من خلال الإدراكات الإستباقية والتوقعات التي تسقط على الواقع، ومن خلال انتقاء المعلومات وترشيحها، وكذا التأويلات التي تهدف لإخضاع هذا الواقع المعاش.

4.6 وظيفة التبرير :Fonction justificatrice

يمكن للتصورات الاجتماعية أن تبرر المواقف والسلوكات التي يتبناها الفاعلون الاجتماعيون تجاه شركائهم أو أفراد الجماعات المنافسة.